

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

Talqis Nurdianto

Universitas Muhammadiyah Yogyakarta

talqis@umy.ac.id

Abstract:

Miftāhul 'Ulūm, written by al-Sakākī, especially the third part, was the beginning of a new phase in the development of Arabic rhetoric. Al-Sakākī divided the rhetoric into three fields of study, which are (1) Ma'ānī, (2) Bayān, (3) Badī'. However, his style is influenced by philosophers, theologians and their verbal lexicon, which are difficult to take, especially for the ordinary recipient. Al-Sakākī described that his book containing several types of literature, namely, 'ilm ṣarf in complete version and its conclusion, derivation science, and the grammatical study in the completeness of Ma'ānī and Bayān. The meaning of Makna is the study of completeness and conclusion. Therefore, books and prose, and poem require al-'Arūd and al-Qawāfī include Ṣarf, Grammar, Ma'ānī, Bayān, limitation, reasoning, al'Arūd, and al-Qawāfī. He argued that the fields of study were influential in delivering knowledge to the student in order to reach the goal of the author towards his book. This research was an analytical descriptive study of al-Sakākī rhetoric that focused on the normative aspect represented by rhetorical rule and aesthetic aspects. Those aspects were shown by the feeling. Al-Sakākī rhetoric thought is a method based on mental division and has conducted in the construction of many factors, which the most important of them are philosophy and logic.

Keywords: *rhetoric, meanings, sakkaki*

Abstrak:

Buku Miftahul Ulum yang ditulis oleh Al-Sakaki, terutama juz ketiga, merupakan awal dari fase baru dalam pengembangan retorika bahasa Arab. Al-Sakaki membagi retorika menjadi tiga ilmu, yaitu: (1) Ma'ānī, (2) Bayān, (3) Badī', namun gayanya, dipengaruhi oleh filsuf, teolog dan leksikon verbal mereka, sulit untuk diambil, terutama bagi penerimanya. Al-Sakaki menggambarkan bukunya yang berisi beberapa jenis literatur, yaitu ilmu ṣarf secara keseluruhan dan kesimpulannya, ilmu derivasi, dan ilmu gramatikal dalam kelengkapan dan kelengkapan Ma'ānī dan Bayān. Makna dari makna adalah pengetahuan tentang keterbatasan dan kesimpulan, Oleh karena itu, buku dan prosa, dan nāẓam memerlukan ilmu 'Arūd dan Qawāfī (sajak) termasuk ilmu: ṣarf, tata bahasa, Ma'ānī, Bayān, batasan, penalaran, 'Arūd dan Qawāfī, yaitu ilmu-ilmu yang di mata Sakaki berperan dalam pencapaian pengetahuan sains siswa terhadap tujuan yang diinginkan oleh penulis untuk bukunya. Penelitian ini merupakan penelitian deskriptif analitis retorika al-Sakākī yang fokus pada aspek normatif yang ditunjukkan oleh peraturan retorik dan aspek estetika yang ditunjukkan oleh rasa. Pemikiran retorika al-Sakākī adalah metode yang didasarkan pada pembagian mental dan telah dimainkan dalam pengkonstruksian banyak faktor, yang terpenting adalah filsafat dan logika.

Kata Kunci: *retorika, makna, sakkaki*

المقدمة

ويعد السكاكي خاتم المدرسة الكلامية إذ يقول في مقدمة المفتاح: "لما رأيت أهل زماني الفضلين، الكاملين، الفضل، قد طال إلحاحهم عليّ أن أصنف لهم مختصراً يحظيهم بأوفر حظ منه -علم الأدب-، وأن يكون أسلوبه أقرب من فهم كل ذي، صنقت هذا وضمنت لمن أتقنه أن يفتح جميع المطالب العلمية وسميته مفتاح العلوم، وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، القسم الثاني في علم النحو، والقسم الثالث في علم المعاني والبيان^١ ولأن كتاب المفتاح كان كالعلامة الفارقة في البلاغة فالكمل يتحدث عن هذا الكتاب والكل يضع تلخيصاً وشروحاً، لذا رغب الباحث أن يبحث في هذا الكتاب.

مسألة البحث

وهذا البحث يحاول أن يكشف الغموض عن سر كتابة البلاغة في الفصل الثالث من كتابه: كيف يعرف السكاكي البلاغة بأقسامها الثلاثة المعاني والبيان والبديع؟ ما الفكر البلاغي الجديد للسكاكي عن المعاني؟ ما

درجة الماجستير مقدمة في البلاغة والنقد (مكة: جامعة أم القرى، ٢٠٠٧)، ٣.

^١السكاكي، مفتاح العلوم، ط. ١ (بيروت: دار

الكتب العلمية، دون سنة)، ٣.

اهتم علماء العرب بعلوم البلاغة لكونها مفتاحاً لفهم وإدراك أسرار إعجاز القرآن الكريم، ودرسوا الشعر وأقوال العرب وبحثوا عن البلاغة فيها حفظاً عن العرب ومن ثم تطرقوا لإعجاز القرآن الكريم. ومن أهم العلوم التي دفعته لدراسة وفهم إعجاز القرآن الكريم كانت البلاغة بفروعها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع. فظهر لنا كثير من الكتب التي عنت بالبلاغة وكان لها أكبر الأثر فيها بعد. ولكن هذه الدراسة البلاغية مرت بالمراحل المختلفة، ونستطيع أن نقول إن البداية للحقيقة البلاغة وعلومها كانت على يدي الشيخ عبد القاهر الجرجاني ومن ثم تبعه عدد من العلماء أفردوا كثيراً من الكتب.

وبرز من هذه الكتب (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب السكاكي، ولأهميته أفرد له الكثير من الملخصات والشروح، وكان من أكثر الكتب شغلت بالعلماء والدارسين، وتكاد أن تكون الدراسة للبلاغة كما هي بالمفتاح، وقد سيطرت منهج هذا الرجل على أغلب كتب البلاغة^١.

^١ منى، "مصادر السكاكي للبيان بالقسم الثالث

من كتابه مفتاح العلوم"، بحث تكميلي مقدم لنيل

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

البارح، ولز من تقدمه لز الجذع الضارح، فأضحى الفضل كله يزم بعنانه، ويذم السيف ونصله بسانه، ونقل عنه أبو حيان في الارتشاف في مواضع شتى من الكتاب، وكفاه فخراً أنه صاحب المفتاح.^٤

وقال الدكتور حسين أنه ولد في خوارزم سنة ٥٥٥ هـ أو ١١٦٠ م وعاش في ظل الدولة الخوارزمية وسلطانها الرابع (أيل أرسلان بن اتز).^٥ ويظهر أن أسرته كانت تحترف صنع المعادن، وخاصة السكك، وهي المحارث التي تفلح بها الأرض، ومن ثم شاع لها لقب السكاكي وربما كانت تعنى بصنع السكة وهي حديدة منقوشة تضرب بها الدراهم.^٦ وقد أجمع المترجمون له على أنه ظل إلى نهاية العقد الثالث من حياته يعنى بصناعة المعادن حتى وقر في قلبه أن يخلص للعلم ويتفرغ له، وإذا هو يكب عليه يحاول أن يلبثه التهاماً.^٧

^٤ أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها (القاهرة: دار البصائر، ٢٠٠٨)، ١٠٩،
^٥ الهندي، في تحقيق الكتاب مفتاح العلوم للسكاكي، ١٤

^٦ نفس المرجع، ١٥

^٧ صلاح أحمد حسين، "المباحث البلاغية في مفتاح العلوم للسكاكي تأصيل وتقييم"، ١٤٢٨/١٤٢٩ هـ انظر الى الموقع alfaseeh.com

الفرق بينه والآخرين من علماء البلاغة حتى يكون خصائص الفكر البلاغي له؟

منهج البحث

البحث يمر بجمع المواد والمراجع والمصادر المتعلقة بالموضوع ويقوم بدراستها ومطالعتها. وهذا البحث التحليلي يستخدم كتاب مفتاح العلوم للسكاكي كالمصدر الأول والأساسي لهذا البحث. ويعتمد الباحث على الكتب البلاغة الأخرى ويقارن بينها ليعرف منهج الفكر البلاغي من قبل السكاكي وبعده.

التعريف عن السكاكي

هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي^٣، الإمام في العلوم العربية بيانها وأدبها وعروضها وشعرها، المتكلم الفقيه، المفتن في علوم شتى، الذي سارت بفضله الركبان، واشتهر علمه في كل مكان، وفيه يقول محمد بن فضل الله العمري في كتابه ((المسالك والممالك)): هو ذو علوم سعى إليها فحصل طرائقها، وحفر تحت جناحه طوابقها، واهتز للمعاني اهتزاز الغصن

^٣ عبد الحميد الهندي، في تحقيق الكتاب مفتاح العلوم للسكاكي (لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)، ١٤

حياته وطلبه للعلوم

عاش السكاكي حياته كلها في إقليم خوارزم لم يتحول عنه إلى غيره، حيث اكتفى بتحصيل علومه في المساجد خوارزم، متأثراً بتلك البيئة التي كانت مركزاً من المراكز العلمية آنذاك. وكان المذهب الشائع في خوارزم هو الاعتزال، فأثر ذلك في كثير من علماءها الذين اتخذوا من الاعتزال منهجاً في الدفاع عن العقيدة في وجه الملاحدة والزنادقة، وإن جرهم ذلك إلى الوقوع في كثير من التأويلات العقلية البعيدة التي أدت إلى انتقادهم وإهدار كثير من جهودهم.

وقد تخرج في تلك البيئة جملة من الأعلام، منهم عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والجمال، رشيد الدين الطواط (٥٧٣ هـ) صاحب دقاق السحر، والزمخشري (٥٣٨ هـ) صاحب الكشاف وأساس البلاغة والمفصل في النحو والأنموذج في النحو وغيرها من التصانيف النافعة، وفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) صاحب التفسير الكبير ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، وغيرهم ممن لا يحصى من كثرة.

شيوخه ومؤلفاته:

أما شيوخه فقد ذكرت كتب التراجم أنه تتلمذ على يد سيد الدين الخياطي وابن صاعد

الحارثي ومحمد بن عبد الكريم التركستاني وهم جميعاً من فقهاء المذهب الحنفي، وأشاد في مباحثه البلاغية بأستاذه الحاتمي، وله مصنفات مختلفة، أهمها المفتاح، ويظهر أنه كان يشتهر في عصره شهرة واسعة، حتى إن ياقوت الحموي ليقول عنه فقيه متكلم متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان. توفي بخوارزم سنة ست وعشرين وستمائة للهجرة رحمه الله رحمة واسعة.

بين يدي الكتاب

كتاب مفتاح العلوم هو أول مصنفات السكاكي التي ذاع بها صيته وانتشر، وهو هذا الكتاب الجليل الذي ضم علوم الأدب واللغة العربية من الصرف والنحو ومعان وبيان وبديع وحد واستدلال وعروض وقافية وإعجاز القرآن. أنه ألف هذا الكتاب بعد سنة ٦٠٠ هـ تقريباً، في خلافة الناصر لدين الله الخليفة العباسي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ، وقد طبع الكتاب طبقات كثيرة غير محققة، ولا معتنى بطباعتها على أهمية الكتاب، وكثرة التداول، ورجوع الباحثين في اللغة العربية وآدابها إليه.

مميزات الكتاب

وقد تميز السكاكي في مفتاحه عن أسلافه بحسن التبويب، ودقة الترتيب، فأتى

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

الأدبية، وبعد أن سوى قواعدهما تسوية منطقية عويصة، حتى ليصبح المنطق وأيضاً الفلسفة جزءاً منهما لا يتجزأ، وحتى ليحتاج كتابه في هذا القسم إلى الشرح تلو الشرح ... وكل شارح يضيف من أصباغ المنطق والفلسفة وعلم الكلام ماتمده به ثقافته، وكان ذلك كله إيداناً بتحجر البلاغة وجمودها جموداً شديداً، إذ ترسبت في قواعد وقوالب جافة، وغدا من العسير أن تعود إليها حيويتها ونضرتها القديمة^{١٠}.

لا نعلم أحدا سبق السكاكي إلى قسمة علوم الفصاحة الأقسام الثلاثة المعروفة، ولا نرى لهذا التقسيم وجهاً صحيحاً ولا مستنداً من رواية ولا دراية؛ فليس هناك جهة للتمايز تفصل كل علم عن قسيميه، ولا في أغراض كل علم ولا في موضوعه ما يجعله وحدة مستقلة عن العلمين الآخرين في بحوثه مسائل حتى يمكن الناظر أن يقتنع بوجاهة هذا التقسيم ويبرهن على صحته، بل على العكس نرى بينها اتصالاً وثيقاً في الأغراض والمقاصد، واتحاداً في جهة البحث فلا يمكن فصلها بعضها على بعض، فإن أمكن فعلى نحو آخر غير ما ذكره السكاكي^{١١}.

كتابه في ثلاثة أقسام: الأول منها للصرف، والثاني للنحو والثالث للبلاغة بعلومها الثلاثة، وما يلحق بها من قافية وعروض وفصاحة وبلاغة ومحسنات، وهي كلها علوم يحتاج إليها كل دارس لعلوم العربية في البلاغة والنقد، وقد اتسم كتاب مفتاح العلوم بالتعقيد وكثرة الحدود والتقسيم والتفريع ومع ذلك فقد سار العلماء على نهجه من بعده^٨، فقد «سار في دراسة هذا الفن على منهج علمي يتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساساً يبني عليه التعريفات والتقسيمات»^٩.

يقول شوقي ضيف عن المفتاح: «وبذلك يتم تلخيص السكاكي: "العلمي البلاغة: المعاني والبيان وما ألحقه بهما من الفصاحة المعنوية واللفظية وما يتبعهما من المحسنات البديعية، وهو تلخيص أشاع فيه كثيراً من العسر والالتواء، بسبب ما عمد إليه من وضع الحدود والأقسام المتشعبة ... وحقاً استطاع السكاكي أن يسوي من نظرات عبد القاهر والزحشري علمي المعاني والبيان، ولكن بعد أن أخلاهما من تحليلاتهما الممتعة البارعة للنصوص

^٨ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ

(القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣)، ٢٨٧-٢٨٨

^٩ أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته

ونقده (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٣)، ٣١٠

^{١٠} شوقي ضيف، البلاغة، ٣١٣

^{١١} المراغي، تاريخ علوم البلاغة، ١١٠

هذه الجذاذات قبل أن تمتد نحوها يد تنظم وتنسق، وهذا واضح فيما كتبه الإمام عبد القاهر، وفيما نثره الزمخشري في كشافه، نعم كان هناك إحساس بأواصر قوية بين الفنون المتصلة بدراسة الصورة البيانية، فكان يجمع التشبيه مع المجاز والكناية في نظام واحد إلا أن هذا كان إحساساً غائماً، وقد يتخلف فتختلط المسائل كما هو الحال في كتاب دلائل الإعجاز.

وكان ذكر الزمخشري لعلمي المعاني والبيان، إشارة بينة إلى تمييز هذه المسائل وتصنيفها في هذين العلمين، وإن كان ذلك لم يتم على يديه، وكان من الخير كما يرى السكاكي، أن تضبط مسائل هذين العلمين وأن تحدد تحديداً بيناً، وأن تميز تمييزاً كاشفاً، فكان هو أول من فعل ذلك فحدد أبواب علم المعاني وحصرها وحدد أبواب علم البيان وحصرها فأتم بذلك ما بدأ الزمخشري.

منهجه في كتابه مفتاح العلوم:

قسم السكاكي كتابه إلى ثلاثة أقسام أساسية، تحدث في القسم الأول منها عن علم الصرف وما يتصل به من الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر، وجعل القسم الثاني لعلم النحو، أما القسم الثالث فخص به علم المعاني وعلم البيان، وألحق بهما نظرة في الفصاحة

ولم تزل البلاغة تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن محص السكاكي (٦٢٦ هـ) زبدها، وهذب مسائلها، ورتبت أبوابها، فكان بذلك أول من قسم البلاغة إلى علمين متميزين: علم يتعلق بالنظم سماه علم المعاني، وعلم يتعلق بالتشبيه والمجاز والكناية أو بالصورة سماه علم البيان ولم يسم القسم الثالث بديعاً، وإنما هو عنده وجوه مخصوصة كثيراً ما يؤتى بها بقصد تحسين الكلام، ولهذا عرف البلاغة تعريفاً لم يدخل فيه علم البديع.^{١٢} وقال "البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداله اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وأراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها".^{١٣}

أثر السكاكي في البلاغة العربية:

لا يماري منصف في أن أبا يعقوب كان رجلاً قادر العقل حاد الذهن واسع الثقافة متضلعا في علوم شتى، وقد كانت مباحث البلاغة تدرس قبله، وكأنها جذاذات من الورق في كل قطعة منها مسألة، ويختلف ترتيب هذه المسائل في الكتب البلاغية كما يختلف ترتيب

^{١٢} أحمد مطلوب، "منهج السكاكي في البلاغة"،

مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد العاشر (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م): ٢٧٧

^{١٣} السكاكي، مفتاح العلوم، ٥٢٦،

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

والبلاغة، ودراسة للمحسنات البديعية اللفظية، والمعنوية ووجد أن علم المعاني يحتاج من ينظر فيه، إلى الوقوف على الحد والاستدلال أو بعبارة أخرى، إلى الوقوف على علم المنطق ففتح له مبحثاً أحاط فيه بمسائله كما وجد أيضاً أن من يتدرب على علمي المعاني والبيان يحتاج إلى الوقوف، على علمي العروض والقافية فأفرد لهما المبحث الأخير في الكتاب وبذلك اشتمل المفتاح على علوم الصرف والنحو والمعاني والبيان والمنطق والعروض والقوافي.^{١٤}

ونراه يصور في تقديمه له طريقته في تصنيفه فيقول (وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعد ما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام هنالك ومهدت لكل من ذلك أصولاً لا ثقة وأوردت حججاً مناسبة وقررت ما صادقت من آراء السلف قدس الله أرواحهم بقدر ما احتملت من التقرير مع الإرشاد إلى ضروب مباحث قلت عناية السلف بها وإيراد لطائف مفتنة ما فتق بها رتق أذن. وشهرته إنما دوت بالقسم الثالث من الكتاب الخاص بعلمي المعاني والبيان ولواحقهما من الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، فقد أعطى لهذا كله

^{١٥} نفس المرجع، ٢١-٢٦؛ شوقي ضيف، البلاغة،

اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.^{١٦}

ومن هذا التعريف وضع لعلم المعاني منهجه المحدد وأبوابه المعروفة، ولم يسبق لشيء مما ذكره في هذا التحديد والذي يلفتنا في هذا التعريف هو ذلك الربط القوي بين هذا العلم والنصوص الأدبية الرفيعة، إذ إنه يعني بالتراكيب تراكيب البلغاء المشهود لهم بالسبق والتفوق، وقد نظر السكاكي فوجد التعرض لخواص التراكيب موقوفاً على التعرض للتركيب، ثم إن التعرض لتراكيب الكلام وهي منتشرة أمر يصعب حصره فوجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط، لتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئاً فشيئاً على موجب المساق والسابق في الاعتبار، ومعنى ذلك أنه سيضم القرين إلى القرين حتى لا تنتثر المسائل في غير نظام وسيضع كل مجموعة منها، وضماً منطقياً دقيقاً بحيث يجعل لها أصلاً تتفرع منه أشقاتها.^{١٧}

ونراه يبدأ بتوزيع مباحث المعاني على الخبر والطلب، ويعرض لمن عرف الخبر بأنه ما

الزخمشري التي كانت تملأ النفوس، إعجاباً وبهجة وأريحية، فقد تحولت البلاغة في تلخيصه إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم، فهي قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمتع النفس، إذ سلط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحاجة حتى في لفظها وأسلوبها الذي لا يحوي أي جمال.

وحسبنا دليلاً على ذلك أنه درس البيان في هذا الكتاب بالروح التي درس بها فيه إلى جانبه علم النحو وعلم الصرف وعلم الاستدلال وعلم العروض وعلم القوافي، وهذا ما لم يفعله أحد من الذين سبقوه إلى الكتابة في البيان لا لأنهم كانوا يجهلون تلك العلوم التي أحصاها السكاكي، ولكنهم نظروا إلى طبيعة هذا الفن فوجدوه علماً جمالياً، يدرس الأسباب والعوامل المؤدية إلى المتعة الفنية، وإحداث التأثير أو الإقناع في نفس قارئ الأدب وسامعه. ولعل أول ما يستدعي انتباه قارئه أنه أودع البلاغة علمين أساسيين هما: علم المعاني، وعلم البيان، وجعل علم البديع تابعاً لهما، وكان عجباً في تصوره لطريقة ضبط معاهد كل علم منها.

السكاكي وعلم المعاني:

كان منهجه في ضبط مسائل كل علم ثمرة لنظره في تعريفه، فقد عرف المعاني فقال:

^{١٦} السكاكي، مفتاح العلوم، ٢٤٧

^{١٧} نفس المرجع، ٢٤٧-٢٤٨

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

يقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم، والمعنى واحد، وذلك بأن قال: بل المعاني مختلفة، فقولهم عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه. ويخرج إلى أحوال المسند إليه في مبحث مفصل كبير يتحدث فيه عن حذف المسند إليه وذكره وتعريفه ووصفه وتنكيره وتقديمه على المسند وتأخير عنه وتخصيصه وقصره والمقتضيات البلاغية لذلك كله.^{١٨}

وينتقل إلى المسند وتصوير الاعتبار في كيفياته محذوفاً ومذكوراً ومفرداً وجملة، فعلية أو اسمية، أو منكرراً أو معرفاً أو مقيداً بقيد، أو مقداً أو مؤخراً أما حذفه، فإما لأن حالاً سد مسده وإما قصداً للاختصار والاحتراز عن العبث كقوله تعالى قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ [الحج: ٧٢] إذا حملته على تقدير النار شر من ذلكم. ويذكر إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، وإما لزيادة التقرير أو التعريض بغباوة السامع، أو قصد التعجب من المسند إليه بذكره كما إذا قلت زيد يقاوم الأسد مع دلالة قرائن الأحوال،

يحتمل الصدق والكذب ويقول إن ذلك شيء واضح معروف، فهما يجريان فيه، ولا يجريان في الطلب، وهو الاستفهام والتمني، والأمر والنهي، والنداء.^{١٨}

ثم يأخذ السكاكي بعد ذلك يوضح الموضوعات التي سيتناولها الخبر أو الجملة الخبرية وهو الإسناد الخبري والمسند إليه والمسند والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وتراه دائماً يعلل لتأخير كل موضوع عن سابقه، فكل شيء يوضع بقسطاس، ثم يفصل الحديث عن الإسناد الخبري واختلافه باختلاف أحوال السامع بحيث إذا كان خال الذهن لم يؤكد له وإذا كان طالباً له في تحيير أكد بمؤكد واحد وإذا كان منكرراً أورد عليه مؤكداً بتاكيدين أو أكثر ويسمى الخبر في تلك الأحوال على الترتيب ابتدائياً وطلبياً وإنكارياً، وقد ناقش الشيخ عبد القاهر هذه الصورة وطبقها الزمخشري في كشفه وكان الجديد عند السكاكي هو إعطاء تلك المراتب مصطلحاتها البلاغية الأخيرة.^{١٩}

يقول السكاكي: (والذي أريناك إذا أعملت فيه البصيرة استوثقت من جواب أبي العباس للكندي حين سأله قائلاً: إني أجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله قائم ثم

^{١٨} نفس المرجع، ٢٥٩

^{١٩} نفس المرجع، ٢٥٦-٢٩٦

^{١٨} نفس المرجع، ٢٥٤

^{١٩} نفس المرجع، ٢٥٧

أو لتعظيمه أو إهانته أو غير ذلك مما يصلح للقصد إليه.

ويكون المسند اسماً للدلالة على الثبوت كقولك: (زيد عالم) ويكون فعلاً للدلالة على التجدد والاستمرار كقولك، زيد عالم ويقيد بالمفعولات والحال والتمييز والشرط لتربية الفائدة.

ويعقد السكاكي فصلاً للفعل ومتعلقاته في الترك والإثبات، أو في الحذف والذكر، ويبدأ بحذف الفعل في بعض الصيغ، وفي الجواب عن السؤال ويقول إنه يذكر للحاجة إليه في الكلام، ويقف عند حذف المفعول قصداً للتعميم، أو إلى نفس الفعل أو قصداً إلى الاختصار أو لرعاية الفاصلة، ويقول إنه يذكر لفائدة تمام الكلام أو لزيادة تقريره وبسطه، أو لرعاية الفاصلة، ويطيل الوقوف عند تقديم الفاعل مع الفعل مثل، أنا عرفت، وأنت تعرف، وإفادة التقديم الاختصاص.

ثم ينتقل السكاكي إلى الفصل والوصل، ويذكر صوره من النثر والشعر ويأخذ في تفصيل الحالات المقتضية للقطع والاستثناء، ولكمال الانقطاع، وكمال الاتصال، ويلاحظ أنه يقطع للاحتياط حين يخشى أن يتبادر إلى ذهن السامع، أن الجملة معطوفة على أخرى من شأنها إذا عطفت عليها أن يفسد المعنى، ويأتي

بأمثلة كثيرة لشبه كمال الاتصال، وهو في كل ذلك يستمد من الإمام عبد القاهر والزمخشري. ويفتح باباً للإيجاز والإطناب يستهله بأنهما نسيان فقد يكون ظاهر الكلام مطناً وهو موجز، بالقياس إلى كلام آخر، ومن هنا رد الاعتبار فيهما إلى المتعارف في أوساط الأدباء، وذكر أمثلة للإطناب والإيجاز.^{٢٢}

ثم ينتقل بعد ذلك إلى القصر ويقول، إنه تخصيص موصوف بوصف دون ثان مثل زيد شاعر لا منجم، تقوله لمن يعتقد أنه شاعر ومنجم، كذلك لمن يعتقد أنه يتصف بأحد الوصفين دون تعيين ويسمى قصر أفراد، وإذا قلت لمن يعتقد في زيد العكس، وأنه منجم لا شاعر كان ذلك قصر قلب، لأنك قلبت فيه حكم السامع وتحدث عن طرق القصر، وذكر أنها أربعة: العطف بلا وبل والنفي والاستثناء والتقديم، ويذكر أن دلالة الطرق الثلاثة الأولى على القصر بالوضع أما دلالة التقديم فبوساطة الفحوى وحكم الذوق، ويأخذ في بيان فروق استعمال هذه الطرق، مستنيراً بما كتبه الإمام عبد القاهر والعلامة الزمخشري.^{٢٣} ثم بعد أن انتهى من القصر انتقل إلى الطلب، وكتب له مقدمة طويلة استمدها من كلام

^{٢٢} نفس المرجع، ٣٨٧

^{٢٣} نفس المرجع، ٤٠٠-٤١٣

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق^{٢٥}.

والعلم الذي يقصد به السكاكي يقوم على القانونين الأساسيين هما:^{٢٦}

١- القانون الأول : لكل مقال مقام

٢- القانون الثاني : قانون الطلب

يتمثل القانون الأول من خلال مباحث الإسناد الخبري، وأما القانون الثاني فيتمثل من خلال مباحث الإنشاء أو الطلب عند السكاكي.

وعند حديثه عن الإسناد الخبري يتوقف السكاكي في الفنون الأربعة هي:

١- في تفصيل اعتبارات الإسناد الخبري

٢- في تفصيل اعتبارات المسند إليه

٣- في تفصيل اعتبارات المسند وفيه فصل:

اعتبارات الفعل وما يتعلق به

٤- الفصل والوصل والإيجاز والاطناب. وفيه

فصل في بيان القصر.

جعل السكاكي القانون الثاني من كلامه

في علم المعاني وهو قانون الطلب، ويتناول فيه

الأساليب الإنشائية الخمسة، وهي:

المناطق، وقسم الطلب إلى خمسة أنواع هي: التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء.

وتحدث عن الألفاظ والأدوات

الموضوعة لكل نوع، وأنها قد تخرج للدلالة على

معان إضافية مع الإتيان بأمثلة كثيرة من

القرآن وغيره وهو في كل ذلك يستمد من

الزمنخشي في تصوير هذه الدلالات.^{٢٧} وهكذا

بمثل هذا التبويب الصارم يحصر السكاكي

مباحث علم المعاني فإذا ما فرغ منها انتقل إلى

مباحث علم البيان فحصرها بنفس الطريقة.

التقديم والتأخير عند السكاكي في كتابه

(مفتاح العلوم)

عند السكاكي، أن التقديم والتأخير

ضمن حديثه عن مباحث علم المعاني الذي

يعرفه بأنه "تتبع خواص تراكيب الكلام في

الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره،

ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق

الكلام على ما يقتضي الحال ذكره؛ أعني

بتراكيب الكلام: التراكيب الصادرة عن له

فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء، لا

صادرة عن سواهم، لنزولها في صناعة البلاغة

^{٢٥} نفس المرجع، ٢٤٧-٢٤٨.

^{٢٦} فاطمة البريكي، "إشكالية التقديم

والتأخير في الدرس البلاغي التراثي"، مجلة جامعة

الملك سعود، الآداب (٢): ٢٦٥

^{٢٧} نفس المرجع، ٢٤٧-٢٤٩

١- التمني

٢- الاستفهام

٣- الأمر

٤- النهي

٥- النداء

محاور أساسية، وهي الفنون المذكورة أعلاه دون أن يدرك أن عملية الضبط هذه قد تؤدي إلى عدم ترابط الفكرة، وبالتالي عدم وصولها إلى القارئ بيسر وسهولة. وأن كلام السكاكي في هذا المبحث سيكون على الجملة الاسمية، ويؤكد هذا الظن بقوله في الاعتبارات التي يقدم المسند إليه على المسند بسببها أنه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه.^{٢٨} ومن المعروف أن تقديم المسند إليه على المسند لا يكون أصلاً إلا في الجملة الاسمية فقط.

وفي كلامه السكاكي عندما يذكر تقديم المسند إليه على المسند سنجد أنه يخلط حالات الجواز بمجالات الوجوب التي لا يملك المتكلم خياراً إزاءها ويجب عليه أن يلتزم فيها بالقاعدة النحوية. ومن أمثلة ذلك قوله إن المسند إليه يتقدم على المسند متى كان ذكره أهم، وهذا لاعتبارات يذكر منها: أن يكون المسند إليه متضمناً للاستفهام، كقولك: ((أيهم منطلق؟)) أو أن يكون ضمير الشأن أو القصة، كقولك: ((هو زيد منطلق)).^{٢٩} ولم يختلف الحال عنه في حديثه عن الاعتبارات التي تقتضي تقديم المسند في الجملة الاسمية أيضاً، إذ ذكر من بين ما ذكر حالات يعد تقديم

وعندما يستعرض السكاكي لمباحث علم المعاني في كتابه، أن التقديم والتأخير هو عبارة عن حلقة واحدة ضمن سلسلة الحديث عن اعتبارات المسند إليه، وكذلك عند الحديث عن اعتبارات المسند ومتعلقاته، في محاولته منه لتقنين الأحوال التي يأتي عليها كل ركن من ركني الإسناد الخبري.^{٢٧}

إلا أن هذا التقنين الذي لجأ إليه السكاكي قد تسبب في خلل منهجي واضح في كتابه، وهو تقسيم الحديث عن الفكرة الواحدة إلى ثلاثة أقسام، فالباحث في آراء السكاكي في التقديم والتأخير يجب أن يذهب إلى الفن الثاني لينظر في تقديم المسند إليه وتأخيره، ثم ينتقل إلى الفن الثالث لينظر في التقديم والتأخير مع الفعل مما يشته الباحث في الكتاب بين أوله ومنتصفه وآخره.

ومن الواضح أنه رتب كتابه بهذا الشكل لأن اهتمامه كان منصبا على عملية ضبط المسائل البلاغية التي يطرحها ضمن

^{٢٨} السكاكي، مفتاح العلوم، ٢٩١

^{٢٩} نفس المرجع، ٢٩١

^{٢٧} نفس المرجع، ٢٧٣.

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

٤- الفكرة الرئيسية لمبحث التقديم والتأخير هي تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم في الجملة، ومع هذا التفصيل البسيط لم يذكر في كلام السكاكي على هذا المبحث، إلا أنه قد ذكر بعض الحالات التي تتوافق من حيث الأمثلة المذكورة لكنه خلط في بعضها الآخر فذكر أمثلة يكون التقديم أو التأخير فيها واجبا.

وفي مسألة التقديم والتأخير يفيد معنى التخصيص، فإنه اشترط في إفادة التقديم التخصيص شرطين:

١- أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخرا على أن يكون فاعلا في المعنى فقط، ومعنى أنه فاعل في المعنى، أن يكون توكيدا للفاعل أو بدلا منه.

٢- أن يقدر كونه كذلك، أي أن يقدر كونه مؤخرا في الأصل.

وذلك كقولك (أنا قمتُ) فإنه يجوز أن تقدر أصله (قمتُ أنا) على أن (أنا) توكيد للفاعل اللفظي، وهو تاء، فيكون (أنا) فاعلا للمعنى.

فإن انتفى الشرط الأول بأن المبتدأ اسما ظاهرا، كقولك (زيد قام)، فإنه لا يفيد إلا التقوى، فإنه لو قدر أن لفظ (زيد) مؤخر في

المسند إليه فيها واجبا نحويا، مثل: أن يكون متضمنا الاستفهام، كقولك: ((كيف زيد؟)).

كما ذكر حالات أخرى تحتمل أن يكون التقديم فيها جائزا ولكنه مثل عليها بأمثلة يعد تقديم المسند إليه واجبا. كقولك: ((تحت رأسي سرج)) و ((على أبيه درع))^{٣٠}. ومن المعروف أن تقديم المسند إليه في المثاليين واجب لأن المسند إليه نكرة محضة.

ويمكن إجمال المآخذ على طرح السكاكي فيما يلي^{٣١}:

١- أنه يتحدث في مبحث التقديم والتأخير عن الحالات التي يتقدم فيها المسند إليه على المسند في الجملة الاسمية، مع أن ما جاء على أصله لا يسأل عن سببه.

٢- أنه يتكلم على تقديم المسند على المسند إليه ويضرب مثلا جملة فعلية، مع أن الأصل فيها أن يأتي المسند مقدما والمسند إليه مؤخرا.

٣- أنه يخلط في هذا السياقين سواء في حديثه عن تقديم المسند إليه على المسند أو العكس، بين ما يكون التقديم فيه جائزا، وما يكون التقديم فيه واجبا ولا خيارا للمتكلم حياله.

^{٣٠} نفس المرجع، ٢٩١

^{٣١} فاطمة البريكي، "إشكالية التقديم"، ٢٧٧

فإذا توفر ذلك أفاد التركيب التخصيص، وإذا لم يتوفر أفاد التركيب التقوى، وبناء عليه فإذا كان المسند إليه المقدم اسما ظاهرا معرفة امتنع التخصيص، وتعين التقوى، وذلك لفقد أن الفاعل في المعنى، لأن الاسم الظاهر لو أُخِرَ لكان فاعلا في اللفظ والمعنى.

وإذا كان المسند إليه المقدم نكرة أفاد الكلام التخصيص قطعا، وإن لم يكن فاعلا في المعنى، إذ لو أُخِرَ لكان فاعلا في اللفظ، لكن السكاكي استثنى مثل هذا التركيب وقدره مؤخرا أو مقديما. ليكون فاعلا في المعنى على هذا التقدير ثم قدم لإفادة التخصيص على ما بيناه.

وإذا كان يريد السكاكي أن يرتب مباحث علم المعاني في كتاب مفتاح العلوم أن يبحث الخبر والإنشاء في باب مستقل وتذكر أنواعها وأساليبيهما المختلفة. ثم يبحث الجملة في باب مستقل لا كما يبحثه في كتابه مفتاح العلوم وفرق مسائلها وإنما تجمع أجزاءها فيكون للتقديم والتأخير فصل، وللذكر والحذف فصل ثان، وللتنكير والتعريف فصل ثالث، وللنقص ولأنواعه وطرق الفصل فصل رابع، ولتقييد المسند والمسند إليه فصل

الأصل. وأن أصله: ((قام زيد)) لكان فاعلا في اللفظ لا فاعلا في المعنى.

أو انتفى الشرط الثاني بأن قدر الكلام في مثل: ((أنا قمت)) مبينا من الأصل على المبتدأ والخبر، ولم يقدر تقديم وتأخير، فإنه كذلك لا يفيد إلا التقوى، ومثل ذلك: ((ما أنا قمت)) و((ما زيد قام)).

واستثنى من الاسم الظاهر المنكر، كما في النحو ((رجل جاءني)) أي لا امرأة، أو لا رجلان، بأن قدره مؤخرا ومقدما على أن يكون أصله: ((جاءني رجل)) لا على أن لفظ (رجل) هو الفاعل، بل على أنه بدل من الفاعل الذي هو المضمرة المستتر في ((جاءني))، ليكون فاعلا في المعنى على هذا التقدير، ثم قدم لإفادة التخصيص، ودعاه إلى ذلك التكلف إثبات التخصيص للنكرة ليكون مسوغا للابتداء بها، والضمير حينئذ يعود على مقدم حكما لقصد الإبهام ثم البيان.

ثم اشترط في إفادة تقديم المنكر التخصيص أن لا يمنع من التخصيص مانع، وحاصل هذا المانع، ألا يكون المعنى على تخصيص الجنس ولا على تخصيص العدد. فالسكاكي لا يعول على النفي تقدم أو تأخر، وإنما يعول على أن المقدم في الأصل كان فاعلا في المعنى، وأخر لإفادة التخصيص.

الفكر البلاغي في المعاني عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: دراسة بلاغية

al Marāgiy, Ahmad Muṣṭafā. *Tārīkh 'Ulūm al Balāghah wa al Ta'rif bi Rijālihā*. Kairo: Dār al Baṣāir, 2008.

Maṭlūb, Aḥmad. *Abdul Qāhir Al Jurjāniy Balāghatuhu wa Naqduhu*. Kuwait: Wakalah al Maṭbū'at, 1973

Maṭlūb, Aḥmad. "Manhaj al Sakākiy fī al Balāghah". Majallah al Mujamma' al 'Ilmiy al 'Irāqiy, *al Mujallad al 'Āsyir*, 1382 H. 1962:277

al Sakākiy. *Miftāh al 'Ulūm*. Cet ke-1, Beirut: Dār al Kutub al 'Ilmiyyah. tt.

خامس، وللفضل والوصل فصل سادس، وللإيجاز والإطناب فصل سابع وهكذا.

الخلاصة

لم يهتم السكاكي ببحث الفصاحة كما اهتم المتقدمون بها، وإنما ذكرها عند نهاية علم البيان وقسمها إلى قسمين: قسم راجع إلى المعنى وآخر راجع إلى اللفظ، وكان من الدقة أن يفرد للفصاحة فصلاً أو أن يجعلها مقدمة للبلاغة كما فعل علماء البلاغة بعده. إلى أن السكاكي نحا في كتابة البلاغة منحنى تقريرياً فهو يضع القاعدة ويقسم الأقسام ويشرحها ويمثل لها. ولم يكن السكاكي مبتدعاً لهذه الطريقة وإنما هي طريقة المعظم المتقدمين من رجال البلاغة الإعلام.

المراجع العربية

al Barīkīy, "Fāṭimah. "Isykāliyat al Taqdīm wa al Ta'khīr fī al Dars al Balāgiy al Turāsiy". *Majallah Jāmi'ah al Malik Sa'ūd, M20, al Ādab* (2): 265

Daīf, Syauqiyy. *al Balāghah Taṭawwur wa Tārīkh*. al Tab'ah al Šālīshah. Kairo: Dār al Ma'ārif, 2003.

Ḥusain, Šalāḥ Ahmad. "al Mabāḥis al Balāgiyah fī Miftāh al 'Ulūm li al Sakākiy Ta'šīl wa Taqyīm". 1428/1429 H, alfaseeh.com

Mannā. "Maṣādir al Sakākiy li al Bayān bi al Qism al Šālīsh min Kitābihi Miftāh al 'Ulūm". *Baḥs Takmīliyy Muqaddam li Naili Darajah al Mājistīr Muqaddimah fī al Balāghah wa al Naqd*. Jāmi'ah Umm al Qurā. 2007.